FSM İlmî Araştırmalar *İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi*
FSM Scholarly Studies *Journal of Humanities and Social Sciences*
Sayı/Number 14 **Yıl/**Year **2019** **Güz/**Autumn
©2019 Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi
DOI: 10.16947/fsmia.667390 - http://dergipark.org.tr/fsmia - http://dergi.fsm.edu.tr

Araştırma Makalesi / Research Article - **Geliş Tarihi** / Received: 08.04.2019 **Kabul Tarihi** / Accepted: 11.06.2019 - **FSMIAD, 2019; (14): 527-538**

أبو عبد الله الصغير في المسرحين العربي والتركي: دراسة مقارنة بين عبد الحق حامد ومعروف الأرناؤوط

عبد الستار الحاج حامد* (Abdulsattar Elhajhamed)

الملخص

شخصية أبي عبد الله الصغير آخر ملوك العرب في الأندلس من الشخصيات التاريخية المثيرة للجدل. استطاعت هذه الشخصية الدخول إلى الأدب العالمي، فقد جسدت في العديد من الأعمال الأدبية، من الأعمال الأدبية التي تناولت هذه الشخصية في الأدب التركي الحديث مسرحية عبد الله الصغير لعبد الحق حامد، وفي الأدب العربي مسرحية "أبو عبد الله الصغير" لمعروف الأرناؤوط.

تدرس هذه المقالة شخصية أبي عبد الله الصغير في المسرحيتين المذكورتين اللتين اتخذتا من حياته موضوعًا لهما، فشخصيته هي الشخصية الرئيسية في كلا المسرحيتين. في المقالة تم تقديم عرض موجز للمسرحيتين يتضمن أهم الأحداث، أما في قسم المقارنة فتمت مقارنة شخصية أبي عبد الله الصغير من نواح مختلفة، مع بيان النقاط المشتركة والمختلفة بين المسرحيتين فيما يتعلق بالشخصية المدروسة، كما تمت الإشارة إلى الأسباب الكامنة وراء هذا الاختلاف والتشابه في تقديم هذه الشخصية في المسرحيتين المدروستين.

الكلمات المفتاحية: أبو عبد الله الصغير، الشخصية التاريخية، المسرحية التركية، المسرحية العربية، الأدب المقارن.

* محاضر د.، جامعة اسطنبول كلية اللآداب قسم اللغة العربية وآدابها، اسطنبول/تركيا.
Okt. Dr., İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü, İstanbul/Türkiye, abd.81@hotmail.com, orcid.org/0000-0003-3856-3944

Arap ve Türk Tiyatrosunda Abû Abdullah es-Sağîr : Abdülhak Hamid ve Maruf el-Arnavut Arasında Karşılaştırmalı Bir İnceleme

Öz

Endülüs'ün son Arap hükümdarı olan Abû Abdullah es-Sağîr, tartışmalı bir şahsiyettir. Dünya edebiyatına giren bu şahsiyet, birçok edebî esere konu olmuştur. Türk edebiyatında Abdülhak Hamid'in kaleme aldığı *Abdullahü's-Sagîr* adlı piyesi ile Arap edebiyatında Suriyeli yazar Maruf el-Arnavut'un *Ebû Abdullah es-Sagîr* adlı piyesi, bu şahsiyeti ele alan eserlerdendir. Bu makalede, adı geçen bu iki piyeste ana karakter olarak karşımıza çıkan Abû Abdullah es-Sağîr'in şahsiyeti farklı yönleriyle incelenmiştir. Makalede, söz konusu piyeslerin geniş özetleri verildikten sonra karşılaştırma bölümünde Abû Abdullah es-Sağîr'in şahsiyeti piyeslerde geçen ortak ve farklı yönleriyle ele alınarak incelenmiştir. Ayrıca bu piyeslerde Abû Abdullah es-Sağîr ile ilgili farklılıkların ve benzerliklerin arkasında yatan sebeplere de işaret edilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Abû Abdullah es-Sağîr, Tarihî Şahsiyet, Türk Tiyatrosu, Arap Tiyatrosu, Karşılaştırmalı Edebiyat.

Abu ʿAbd Allah Muḥammad XII in Turkish and Arabic Theatre, Comparative Study between Abdülhak Hâmid and Maʿrūf el-Arnavut

Abstract

Abu ʿAbd Allah Muḥammad XII, in Arabic known as as-Saġīr, was the 22nd and the last Arab ruler of al-Andalus. A controversial historical figure, he became a protagonist of numerous literary works, among them the play *ʿAbd Allah as-Saġīr* written by a Turkish poet and play writer Abdülhak Hâmid Tarhan, and *Abu ʿAbd Allah as-Saġīr* by a Syrian author Maʿrūf el-Arnavut. This article deals with the way in which the character of Abu ʿAbd Allah Muḥammad XII is presented in both plays. After a brief plot summary, it proceeds to comparing ways the main protagonist is described, with both similarities and differences between the plays pointed out, and the reasons behind them explained.

***Keywords*:** Abu ʿAbd Allah Muḥammad XII, Historical Character, Turkish theatre, Arabic Novel, Comparative Literature.

مقدمة

إن شخصية أبي عبد الله الصغير من الشخصيات العربية التاريخية التي جذبت انتباه العديد من الأدباء من مختلف أنحاء العالم.[1] وكان الشاعر التركي عبد الحق حامد أول وأهم من تناول هذه الشخصية في الأدب التركي، وذلك في مسرحيته عبد الله الصغير (1917م)،[2] ومن أهم الكتاب الذين تناولوها في الأدب العربي الأديب السوري معروف الأرناؤوط في مسرحيته أبو عبد الله الصغير (1929م).[3] سندرس في هذه المقالة شخصية أبي عبد الله الصغير في المسرحيتين المذكورتين.

أولًا: أبو عبد الله الصغير

ولد محمد الحادي عشر المعروف بأبي عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر في غرناطة عام 1433م، والده أبو الحسن سلطان غرناطة، وأمه عائشة الحرة بنت السلطان الأيسر عم السلطان أبي الحسن، أبو عبد الله كان ولي عهد إمارة غرناطة، لكن والده وبتأثير من زوجته الاسبانية ثريا عزله عن ولاية العهد، وعين مكانه ابنه سعد ابن الجارية الاسبانية. بعد ذلك حبسه مع أمه في قصر الحمراء، لكنهما تمكنا من الفرار بمساعدة أهالي غرناطة، استطاع أبو عبد الله بدعم من أمه ومؤيديه إحداث ثورة في غرناطة، وطرد أبيه من المدينة، والجلوس على العرش وهو في الخامسة والعشرين من عمره، لكنه وقع أسيرا بيد الإسبان في إحدى المعارك. وبعد الإفراج عنه اقتسم مملكة غرناطة مع عمه الزغل، لكنه ما لبث أن تفرد في حكم غرناطة من جديد، لكن الخلافات الداخلية والغزوات الإسبانية ارهقت إمارة غرناطة. حاول أبو عبد الله الثبات أمام زحف الإسبان إلا أنه لم يلبث بعد مدة أن قبل بتسليم غرناطة، وهاجر إلى البشرات مع أمه وأهله، وأقام في أندرش ما يقارب سنة، لكنه اضطر لبيع جميع ممتلكاته والهجرة إلى المغرب، وعاش هناك بقية حياته مغمورًا. لقد خاض أبو عبد الله حروبًا كثيرة مع والده وعمه والإسبان، إلا أنه رغم ذلك لم يستطع الحفاظ على مملكته، فبدى ضعيفًا يؤثر نفسه ومصلحته الشخصية على مصلحة الدولة التي كان يحكمها.[4]

ثانيًا: مسرحية عبد الله الصغير

صدرت مسرحية عبد الحق حامد عبد الله الصغير عام 1917م، وهي مسرحية شعرية مؤلفة من أربعة فصول، تدور أحداثها في الفترة الزمنية التي أعقبت تسليم غرناطة للإسبان من قبل أبي عبد الله الصغير، هي المسرحية الأولى في الأدب التركي التي تناولت شخصية أبي عبد الله الصغير.

بعد أن سلم أبو عبد الله الصغير غرناطة للإسبان صعد على هضبة على مقربة من مضيق جبل طارق تطل على البحر ينتظر وصول السفينة التي ستنقله إلى العدوة المغربية مع أمه، لم يكن أبو عبد الله مباليًا بما حدث له ولشعبه المشرد، بل كان منغمسًا في ملذاته يشرب الخمر. وفي تلك الاثناء يرى مومس إسبانية تدعى

---

1 فمن الأوربيين الذي تناول هذه الشخصية المسرحي الإنكليزي جون درايدن (John Dryden) في مسرحيته غزو غرناطة (Conquest of Grenada) 1670م، والروائي الهولندي لويس كوبيروس (Louis Couperus) في روايته التعيس (De Ongelukkige) 1915، والروائي الإسباني أنطونيو غالا (Antonio Gala) في روايته المخطوط القرمزي (The Crimson Manuscript) 1990.

2 Abdülhak Hamid, *Külliyât-ı Âsâr; Abdullahü's-Sagîr, Nazife,* İstanbul, Âsâr-ı Müfide Kütüphanesi, Matbaa-i Âmire, 1335.

3 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير : آخر ملوك العرب في الأندلس، حلب، المطبعة العلمية، 1347هـ/ 1929م.

4 محمد عبد الله عنان، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 4، 1408هـ-1987م، 4/196-288.

كرولينا، فيقع في حبها، لكن كرولينا تستغرب تصرف هذا الملك الذي فقد ملكه ومملكته، وتتعجب من عدم مبالاته بما حل بشعبه من نفي وتهجير، لذلك تعامله بازدراء شديد، وتحملته المسؤولية عن الهزيمة، وتتهمه بخيانة وطنه، والانغماس في الملذات.

لكن أبا عبد الله الصغير يتنصل من الهزيمة، لأنها قدر إلهي لا يملك تغييره، كما أنه لا يبدي أي انزعاج من كارولينا، بل على العكس من ذلك يحاول اقناعها بالزواج منه، إلا أن كرولينا المومس ترى نفسها في منزلة أعلى من أبي عبد الله المهزوم، يحاول أبو عبد الله استمالتها بالذهب وحتى بالبكاء. في النهاية توافق كرولينا على الذهاب مع أبي عبد الله، لأنها سئمت من الحياة التي كانت تعيشها، فهي ترغب بالخلاص مما هي فيه. لكنها ما تلبث أن تقع في حب أبي عبد الله، وتتعاطف معه وتثق به، لكن عن وصولهما إلى السفينة تعارض أم أبي عبد الله هذا الزواج رأفة بكارولينا، فهي تخشى أن يتركها بعد فترة من الزمن. في تلك الأثناء تحاول كارولينا الانتحار بإلقاء نفسها في البحر، لأنها لا تريد العودة إلى حياتها السابقة، إلا أن أم أبي عبد الله تمنعها من ذلك، وتوافق على ذهابها معهما إلى المغرب، شرط ألا تفتخر بنسبها الإسباني، توافق كرولينا على الشرط.

عندما تقترب السفينة التي تقل أبي عبد الله الصغير من شواطئ المغرب، يرفض الناس السماح لأبي عبد الله الدخول إلى بلادهم، لأنه سلم غرناطة للإسبان. في الوقت نفسه يرحب الشعب بأم أبي عبد الله ويسمحوا لها بالبقاء في بلادهم. يخبر أبو عبد الله الشعب المغربي بأنه لم يرد إراقة الدماء، لذلك سلم المدينة، وأنه غير نادم على هذه الفعلة. تعرض عليه كرولينا العودة إلى إسبانيا والعيش هناك في كوخ صغير لها، فيقبل هذا الاقتراح، عندها تودعه أمه وتوصيه بالمحافظة على دينه، والوفاء لزوجته. ثم تنزل من السفينة لتستقر في مدينة طنجة. يعود أبو عبد الله إلى إسبانيا للعيش في كوخ كارولينا في قرية من قرى غرناطة، ويغيران هو وزوجته اسميهما، ويعيشان في سعادة في كوخ كرولينا المتواضع. يدعو أبو عبد الله أن يديم له هذه السعادة، ويعتبر أن كرولينا هي غنيمته من هذه الحرب الخاسرة بل مكافأته على عدم إهراق الدماء.

لكن يظهر فجأة الملك فرديناندو الذي سلب أبا عبد الله ملكه ومملكته، ومن جديد يحاول سلبه زوجته كارولينا. فرديناندو هدفه الحصول على عشيقته القديمة كرولينا. فيطلب منها مرافقته إلى القصر، إلا أن أبا عبد الله الذي لم يقف في وجه فرديناندو من أجل غرناطة يعترض على إرادة الملك الإسباني هذه المرة. في النهاية يتفقان على ترك القرار لكارولينا التي فضلت البقاء مع أبي عبد الله الصغير. في تلك الأثناء تصل الملكة التي كانت تتعقب زوجها الملك، فتتعرف على أبي عبد الله، وتدعوه إلى العيش في قصرها. لكنه لا يبدي أي رغبة في ذلك، ويفضل البقاء في كوخ كرولينا، وبذلك يكسب أبو عبد الله معركة الحب بعد أن خسر كل ما يملك.

ثالثًا: مسرحية "أبو عبد الله الصغير":

صدرت مسرحية "أبو عبد الله الصغير" عام 1929م، وهي من أجود مسرحيات معروف الأرناؤوط من الناحية الفنية[5]. فقد جمعت فضل النضج إلى فضل السبق،[6] وهي مأساة تاريخية ذات خمسة فصول، تدور أحداثها في الفترة الأخيرة من حكم أبي عبد الله الصغير، في مدينة غرناطة عاصمة إمارة بني الأحمر المحاصرة من قبل الإسبان.

---

5 محمد موفاكو، "عودة إلى معروف الأرناؤوط"، البيان الكويتية، عدد 124، 1976، ص: 25.

6 أحمد زياد محبك، «التاريخ والتأليف المسرحي في سورية (1945-1967)"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 126، ص: 31.

يقع أبو عبد الله الصغير في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الأندلس تحت تأثير نبوءة مشؤمة مفادها أنه سيكون الملك الأخير لغرناطة. إن أبا عبد الله يعاني كثيرًا بسبب هذه النبوءة، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا سوى انتظار مصيره المحتوم. أما أشراف غرناطة وفرسانها أمثال ابن حامد وطرفة وموسى فكان يساورهم القلق من أن يقوم أبو عبد الله الصغير بتسليم المدينة للإسبان، لذلك كانوا يفكرون في الإطاحة به. لقد قام أبو عبد الله بسجن الكثير من الناس الذين ثاروا ضده، وفي الوقت نفسه يخور ويجبن فيه عن مواجهة الأعداء. لذلك فإن صبر فرسان غرناطة يكاد ينفد. لقد حاولوا تشجعه على الصمود والوقوف في وجه الأعداء، لكنه كان يائسًا من إنقاذ المدينة المحاصرة التي بدأ الجوع ينتشر فيها، وبدأ أهلها يحسون بالعجز، لا سيما وأن المدد الذي كان يُنتظر من مصر والمغرب والسلطان العثماني لم يصل.

يطلب أبو عبد الله المنجمين لسؤالهم عن النبوءة التي تناهت إلى سمعه من قبل، ويشجعهم على قول الحقيقة، إنه يريد أن يعرف مصير غرناطة ومصيره، يحاول المنجمون التهرب من الإجابة، ويلتمسون منه أن يعفيهم من قول الحقيقة، لكنه يصر عليهم فيخبرونه بأن النبوءة التي تقض مضجعه صحيحة، وأن مصير شعب غرناطة هو التشرد والهجرة، أما مصيره، كما تبين لهم، فهو الهجرة إلى مراكش والعيش فيها عيشة ذليلة بعد أن تسمل عيناه.

يقدم أبو عبد الله تقييمًا عامًا للوضع الذي وصلت إليه غرناطة، ويعرض على أشراف غرناطة شروط التسليم التي قدمها له الإسبان. لكن فرسان غرناطة، وفي مقدمتهم موسى وطرفة يرفضون أن تسلم المدينة إلى الإسبان، ويفضلون الموت على العبودية. طرفة أيضًا حذر أبا عبد الله من قبول المعاهدة، فهو يرى أن الأعداء سيغدرون بأهل غرناطة في حال سيطرتهم عليها، وأما ابن حامد فيرى أن من الصعب على العربي أن يخنع ويقبل بالتسليم لأعدائه. لكن أبا عبد الله ينفجر غضبًا في وجه فرسان غرناطة، ويتهمهم بالتآمر عليه، وعدم إدراك للخطر الذي يحدق بغرناطة، فمصير المدينة هو السقوط بيد الإسبان سواء أحاربوا أم لم يحاربوا.

فرسان غرناطة لم يفقدوا الأمل من أبي عبد الله، واستمروا بتشجيعه على الثبات وعدم تسليم المدينة، فموسى يذكره بشجاعة والده الذي استبسل في الذود عن غرناطة، وعائشة أمه تدخل وهي تمشي على عكازين، فتشجع ابنها على خوض المعركة وتذكره بقصة فتح الأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير، وتذكره بأمجاد الفاتحين، وتلومه على تخاذله، وتعيب عليه الخوف من لقاء العدو، تدب في نفس أبي عبد الله الحمية، فيدعو فرسان غرناطة لخوض المعركة والدفاع عن غرناطة.

يذهب موسى بضياء إلى قبور الأمويين على سفح جبل شلير لتقسم له بأن تموت معه، هناك يعرفها على قبور بني أمية وبني سراج وقبر أبيه، ذاكرًا لها البطولات التي سطروها في الدفاع عن بلدهم. في تلك الأثناء يدخل أبو عبد الله الصغير المقبرة منهكًا، ويبدأ بمناجاة الأموات، يرى أبو عبد الله الصغير أن التاج قد أصبح حملًا ثقيلًا، وأنه عاجز عن حمله، يتقدم نحو قبر والده، وينزع التاج ويضعه على رخام القبر ثم يتوارى في الظلام.

يجتمع فرسان غرناطة وأشرافها في مقابر بني أمية لتدارس وضع غرناطة وملكها، يلتحق بالاجتماع غالب الغرناطي وعبد الرحمن بن أمية اللذان قررا المشاركة في الدفاع عن غرناطة بالأموال والرجال. في الاجتماع يتفق الجميع على وأد الفتنة في غرناطة، وتكليف غالب الغرناطي بمهمة تهدئة الشعب، كما يقررون تأجيل خلع أبي عبد الله الصغير لما بعد الانتهاء من المعركة مع الإسبان. موسى لا يخفي رغبته في قتل أبي عبد الله العاجز عن الذود عن وطنه، لكن وجود العدو على أسوار غرناطة يمنعه من القيام بذلك، لأن هذا الفعل سيضعف موقف العرب في المعركة. إن أعيان غرناطة يعرفون أن أبا عبد الله الصغير جبان وخائن، ويستحضرون تاريخه ومواقفه المخزية. يعود أبو عبد الله إلى القبور ليأخذ التاج الذي تركه على قبر والده، وهناك يعترف بأنه فرط بحق وطنه وشعبه، فَيَهِمُّ أشراف غرناطة بقتله، لكن ضياء تمنعهم،

عندما يرى أبو عبد الله الفرسان مجتمعين يظن أن الأموات قد خرجوا من قبورهم، لكن سرعان ما يتعرف عليهم، ويتهمهم بالتآمر عليه.

يستمر فرسان غرناطة بتقريعه وتوبيخه على تقصيره في الوقوف في وجه العدو، ويطلبون منه أن يطلق سراح السجناء ليدافعوا عن غرناطة، وتطل أمه عائشة من نافذة القصر وتوبخ ابنها الذي لم يشترك في المعركة وراح يهيم في المقابر، يكبر فرسان غرناطة موقف عائشة المشرف، ويشيدون بعزمها وثباتها. في تلك الأثناء يقرر أبو عبد الله الذهاب إلى المعركة، فينجح العرب في صد الهجوم، ودفع الإسبان عن المدينة. يعود أبو عبد الله إلى قصره، ويأتي الشعب لتهنئته بالنصر.

على أطراف غرناطة يصمد فرسانها ويستبسلون في الدفاع عنها، ويشتبكون مع الفرسان الإسبان، ويموتون واحدًا تلو الآخر، ما عدا موسى الذي نجى من الموت، يأتي أبو عبد الله إلى أرض المعركة، فيرى جثث فرسان غرناطة على الأرض، فينتابه شعور بالأسى والحزن الشديد، ويرى ضياء تبحث عن موسى ولا تراه بين الموتى.

في الفصل الأخير من المسرحية يظهر بعد ذلك أبو عبد الله وأمه عائشة في جبل شيلر، توبخ عائشة ابنها وتلومه على تقصيره، فيبدأ بالبكاء، ويراه الغرناطيون باكيًا فتظهر عليهم علامات الانفعال، ويبدؤون بالبكاء، ثم يظهر موسى مع ضياء، ويهم بقتل أبي عبد الله، لكنه يعدل عن ذلك، ويقوم بتأمين حراسة طريق المهاجرين إلى ساحل البحر تمهيدًا للعبور إلى المغرب، ويرفض موسى الذهاب معهم إلى المغرب، ويفضل الموت في غرناطة على الهجرة، يغادر أبو عبد الله الصغير الأندلس مع أمه باكيًا. أما موسى فيطعن ضياء ويرمي بجثتها في النهر، ثم يلقي بنفسه في النهر.

رابعًا: المقارنة

إن دراسة الشخصيات من الدراسات الأولى في الأدب المقارن، والشخصيات التاريخية التي تدخل عالم الأدب تتحول إلى قوالب لأفكار الكتاب، وتتسع للتعبير عن آرائهم وفلسفاتهم مختلفة.[7] فالكاتب بشكل عام يعكس ذات نفسه في هذه الشخصية، فهو الذي ينسجها بلغته، ويخضعها للأيديولوجية التي يتبناها، ويسبغ عليها من نفسه، وينفخ فيها من روحه[8]، لذا تتبدى بأشكال مختلفة باختلاف الكتاب الذين يتناولونها في أعمالهم. كما أن الكاتب قد يتأثر من أعمال سابقة له، فينعكس ذلك في عمله بأشكال مختلفة.

إن عبد الحق حامد ومعروف الأرناؤوط اللذين ينتميان إلى أدبين مختلفين صاغا شخصيتين مختلفين لأبي عبد الله، غير أن ثمة نقاط مشتركة بين هاتين الشخصيتين، نورد فيما يلي النقاط المشتركة بين الكاتبين في تناول شخصية أبي عبد الله الصغير:

١- إن الكاتبين يشتركان في كونهما تناولا شخصية أبي عبد الله الصغير من خلال قصة خيالية، فالأحداث في المسرحيتين المدروستين خيالية في معظمها وإن كانت معظم الشخصيات فيهما تاريخية. كما اشتركا في جعل هذه الشخصية شخصية محورية في المسرحية. لقد بنى عبد الحق حامد، مسرحيته على حكاية خيالية، مع ذلك نراه يقدم معلومات تاريخية تتعلق بفتح الاندلس وازدهار الحضارة العربية فيها وسقوطها في أكثر من موضع في مسرحيته، إضافة إلى ذلك نرى أن جميع الشخصيات في المسرحية هي شخصيات تاريخية باستثناء كارولينا التي كانت الشخصية الخيالية الوحيدة في المسرحية. معروف الأرناؤوط أيضا بنى المسرحية على حكاية خيالية، إلا أنه قدم معلومات تاريخية كثيرة عن الأندلس. أما شخصيات المسرحية

7 محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، القاهرة، دار نهضة مصر، ط 3، ص: 310.

8 محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص: 316.

فجاء بمعظمها من التاريخ. إن الكاتبين فضلا الخيال على التاريخ، بيد أن معروف الأرناؤوط كان أقرب إلى التاريخ من عبد الحق حامد بشكل عام.

٢- في المسرحيتين بدى أبو عبد الله الصغير سلبيًا، يتعرض للإهانة والتوبيخ ممن حوله، ففي مسرحية عبد الله الصغير بدى ضعيف الإرادة، لا يأبه بشعبه ووطنه، ولا يدافع عنهما، لقد سلك طريق الاستسلام أو السلام على حد تعبيره، وبدى مهانًا، فكارولينا تصفه بأبشع الصفات من مثل " ملعون، خائن، عديم الحياء، وضيع"، وأمه تلومه وتوبخه، والشعب في المغرب يرفض السماح له بالنزول من السفينة، ويتهمه بالخيانة لأنه لم يدافع عن وطنه. كذلك في مسرحية أبو عبد الله الصغير بدى الصغير مريضًا نفسيًا،[9] ضعيف الإرادة، واقعًا تحت تأثير نبوءة، عاجزًا عن الوقوف في وجه الإسبان، لا يثق بشعبه ولا بجنوده، لقد قاتل قتالًا شرسًا ضد أبيه، إلا أنه جبن عن حرب الإسبان. يتلقى أبو عبد الله الإهانة ممن حوله-كما هو الحال في مسرحية عبد الحق حامد- حتى أن فرسان غرناطة يهمون بقتله أكثر من مرة، ويصفونه بالتعس والجبان والخائن والشقي.

٣- في المسرحيتين بدت أمه ذات شخصية قوية، في مسرحية عبد الله الصغير بدت أمه حكيمة وقوية وثابتة في مبادئها، تحظى باحترام ومحبة الجميع، فهي امرأة شجاعة، تحب وطنها وشعبها، ولا تفتأ توبخ ابنها المنغمس في اللذات وتنتقده، وهي متمسكة بدينها حريصة عليه أكثر من حرصها على ولدها الذي كانت توصيه بالتمسك بالتعاليم الإسلامية، والابتعاد عن الرذائل، لقد تلقت كل الحفاوة والتقدير من قبل الناس في العدوة المغربية. كذلك الأمر في مسرحية أبو عبد الله الصغير فأم أبي عبد الله شجاعة، تحب وطنها، وتحاول تشجع ولدها على الثبات وخوض المعارك، وتلومه وتوبخه على تقصيره، فبدت مجاهدة أكثر من كونها أمًا.[10] وعلى الرغم من أنها عجوز فقد لعبت دورًا مهما في الدفاع عن وطنها، وكانت تشعر بالخجل من ابنها وتصرفاته، وتتمنى لو أنه استشهد مع الفرسان الذين استشهدوا دفاعًا عن غرناطة. كما كانت تحظى باحترام فرسان غرناطة وعلى رأسهم موسى.

٤- في المسرحيتين بقيت صفة الطفولة أو الصغر ملتصقة بأبي عبد الله نتيجة لبقائه ضعيفًا مقارنة بوالدته ذات الشخصية القوية التي كانت ترافقه، ففي مسرحية عبد الله الصغير تراه كارولينا طفلًا لا يحسن قيادة الدولة، وتقول له بأن الدولة "ليست لعبة، لكنك كنت تلعب بها".[11] في هذا الصدد تقول البرفسورة سما أغورجان: "إن الكاتب لم يستخدم عبثًا كلمات من مثل: طفل، لعبة، لعب، أم. إن هذا الرجل محكوم عليه بأن يبقى طفلًا".[12]

كذلك في مسرحية "أبو عبد الله الصغير" بدى أبو عبد الله طفلًا كثير البكاء، لا ينفك ينادي "أماه أماه"، ويستجير بها ويطلب العون والحماية منها. كما نراه يذكر نفسه بهذه الصفة، ويسمي نفسه "طفل الدموع"،[13] ويقول في موضع آخر مخاطبًا المنجم: "لا تعتد ببطشي وصولتي، فأنني كالطفل الوليد، يقتله البكاء والنحيب".[14]

٥- في المسرحيتين بدى أبو عبد الله الصغير حاكمًا سفيهًا عابثًا لاهيًا، يعيش منغمسًا في ملذاته. ففي مسرحية عبد الله الصغير نجده بعد أن فقد ملكه ووطنه يجلس على هضبة يشرب ويلهو، ويبذل قصارى

9 عبد اللطيف الأرناؤوط، "من تراث معروف الأرناؤوط: طارق بن زياد ومسرحية أبو عبد الله الصغير"، التراث العربي، عدد 48، 1992، ص: 146.

10 عبد اللطيف الأرناؤوط، "من تراث معروف الأرناؤوط: طارق بن زياد ومسرحية أبو عبد الله الصغير"، ص: 146.

11 Abdülhak Hamid, Külliyât-ı Âsâr; Abdullahü's-Sagîr, s. 7.

12 Sema Uğurcan, *Abdülhak Hâmid Tarhan'ın Eserlerinde Tarih,* İzmir, Akademi Kitabevi, 2002. s. 131.

13 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 53.

14 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 24.

جهده لإقناع كارولينا بالزواج منه، وكارولينا تصفه بأنه كان لا يخدم إلا نفسه عندما كان في سدة الحكم، كما أن أمه تذكر كارولينا بماضي أبي عبد الله المليء بالمتع واللذائذ، وتحذرها من مصير يشبه مصير محظيات أبي عبد الله السابقات. وكثيرًا ما كانت أمه تلومه على الانسياق وراء ملذاته، واهمال شؤون البلاد. كذلك في مسرحية "أبو عبد الله الصغير"، نرى طرفة وهو أحد فرسان غرناطة الشجعان يصف أبا عبد الله الصغير بأنه " سابح في تيار لذائذه"،[15] وفي موضع آخر من الرواية يصفه بالرجل " الذي ما استحب لنفسه أن يقود جيشا لجبا في ساحة الوغى؛ فجعل يعيش بين النساء والخليلات، قاذفا نفسه في أحضانهن، منتدبا لحراسة قصره الحسان الغيد".[16]

٦- في المسرحيتين بدى أبو عبد الله الصغير أسير قدره، فهو يحمل القدر مسؤولية ضياع غرناطة. ففي مسرحية عبد الله الصغير نجده يلقي باللائمة على القدر، يبرئ نفسه من مسؤولية سقوط الأندلس، ويحمل القدر المسؤولية عن ذلك، ويجب كارولينا بأن سبب ما حدث هو "التقدير الإلهي". فالقدر هو الذي جعله يصل إلى حكم البلاد، وهو الذي جعله آخر حكام الأندلس. كذلك في مسرحية "أبو عبد الله الصغير" يؤمن أبو عبد الله الصغير بالقدر، ويرى أن من العبث محاولة تغييره، فلو لم يكن سقوط غرناطة قدرًا لا مفر منه لما تأخر عن الدفاع عنها:" ليس من قضاء الله مفر؛ ولا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا! تالله لو لم يكن سقوط غرناطة قدرًا، لكان سناني وسيفي زعيمين بحفظها".[17] ونراه دائما يلقي باللائمة على القدر في أكثر من موضع، ويحمله مسؤوليه الهزيمة التي وقعت به: " لقد كتب الله في لوح مقدوره، أن أكون شقيًا على نفسي، وعلى شعبي، وأن أكون آخر الملوك الذين يلقون سلاحهم بين يدي العدو"،[18] " ليس الذنب ذنبي، ولكنه ذنب القدر".[19]

٧- من العناصر المشتركة بين المسرحيتين أيضًا تشبيه أبي عبد الله الصغير بالوباء/ الطاعون، ففي مسرحية عبد الله الصغير كرولينا تشبهه بالطاعون، كذلك في مسرحية أبو عبد الله الصغير يقول هو عن نفسه مخاطبًا أحد رجاله: "من أنساك أنني كالوباء إذا أصاب بلدًا حال أهله إلى عظام".[20]

يمكن أن نرد بعض نقاط التشابه في رسم شخصية أبي عبد الله في المسرحيتين إلى التاريخ، ولكن بعضها الآخر يشي بأن معروف الأرناؤوط قد تأثر بمسرحية عبد الحق حامد التي كتبت قبل مسرحية معروف الأرناؤوط بسنوات، خاصة وأنه يعرف اللغة التركية، بل وكان قد التقى بعبد الحق حامد، وتأثر به.[21] ففي أثناء وجوده في إسطنبول بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى تعرف على عبد الحق حامد، "وعاشا معًا فترة قصيرة، إلا أنها كانت كافية لأن تترك تأثيرًا لا يمحى في تفكير معروف الحياتي"،[22] ولعل هذه العلاقة بين الكاتبين هي التي جعل إبراهيم سعافين يعتبر أن عبد الحق حامد هو أول أساتذة معروف الأرناؤوط.[23]

15 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 4.
16 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 6.
17 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 25.
18 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 23.
19 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 87.
20 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 91.
21 عبد اللطيف الأرناؤوط، "عمر بن الخطاب، رواية تاريخية اجتماعية لمعروف الأرناؤوط"، التراث العربي، عدد 46، 1992، ص: 59، 88؛ معروف الأرناؤوط، عمر بن الخطاب، دمشق، مطبعة فتى العرب، 1936، ص: 64.
22 محمد موفاكو، "عودة إلى معروف الأرناؤوط"، ص: 25 .
23 إبراهيم السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1987، ص: 164.

إلى جانب نقاط التشابه السابقة ثمة نقطة مهمة فيما يتعلق بشخصية أبي عبد الله اخلف فيها الكاتبان، ألا وهي التعاطف مع هذه الشخصية، إن عبد الحق حامد كان متعاطفًا مع أبي عبد الله الصغير، لذا نراه يظهره بصورة حاكم محب للسلام كاره لإراقة الدماء، إن السبب الذي جعل أبا عبد الله الصغير يسلم مدينة غرناطة لأعدائه هو الرغبة في حقن دماء الأطفال والنساء، فالذنب ليس ذنبه فيما حدث، إنما ذنب الإسبان الذين خانوا المواثيق التي عقدوها مع أبي عبد الله وطردوه من دياره. في موضوع سقوط المدينة نرى أبا عبد الله يرفض تحمل المسؤولية جملة وتفصيلًا، وأمه أيضا تعتقد أن الدولة لم تسقط يوم تسليم غرناطة، بل سقطت من قبل، يوم شاع الفساد والظلم فيها، وتعتقد أن أسباب السقوط هي الفضائح والرذائل وفساد الأخلاق وانعدام الرجال.

لم يشأ عبد الحق حامد أن ينهزم أبو عبد الله أمام الإسبان على كل الأصعدة، وصنع لأبي عبد الله نصرًا على ملك الإسبان عندما تمكن من الفوز بحب كارولينا التي رفضت ملك الإسبان وفضلت أبا عبد الله الصغير عليه، وبذلك يكون قد أنهى المسرحية لصالح أبي عبد الله الذي نعم بحياة سعيدة مع كارولينا، أسعد من حياة التي قضاها في قصر الحمراء. فأبو عبد الله يعتبر نفسه سلطانًا في كوخ كرولينا الذي شبهه بالقصر:

" هذا عرشي، هذا قصر دولتي"

(...)

أنا سلطان في هذه الحالة".[24]

أما معروف الأرناؤوط فلم يكن متعاطفًا مع أبي عبد الله الصغير، وحمله -مع القدر مسؤولية سقوط المدينة، فهو لا يكف عن اتهامه –على لسان فرسان غرناطة- بالجبن والخيانة والخور وضعف الإرادة في مواجه القدر، وباضطهاد الأندلسيين بقسوة وسجنهم وإحداث الفتن بينهم. ولا ينفك يقارنه بأسلافه الشجعان ويظهره جبانًا بالمقارنة بهم، ولا يمتلك الخصال الحميدة التي كانوا يتمتعون بها:

"طرفة: كلنا يذكر مآسيه، بينما كان أبو الحسن يلاقي مصرعه أمام العدو كالبطل العظيم، كان أبو عبد الله يكتب بيده سطور العار والخجل".[25]

كما جعل معروف الأرناؤوط أبا عبد الله الصغير يعترف بعجزه عن تحمل المسؤولية وعن الدفاع عن المدينة أكثر من مرة، فأبو عبد الله يقول مخاطبًا أباه في قبره:

"هذا هو تاجك أرده إليك، أرده إليك بعد أن أحدق بي شؤمه، فرأيتني عاجزًا عن صونه".[26]

في موضع آخر يخاطب أبو عبد الله الأندلسيين الهاربين معه إلى المغرب، معترفًا بأنه المسؤول عن الشقاء الذي تعرضوا له:

" أتبكون من أجلي؟ أنا الذي كنت الباعث إلى هجرتكم من دياركم، والسبب في قتل أولادكم وبناتكم، وإحراق قصوركم ومغانيكم وحقولكم!..."[27]

لقد توج معروف الأرناؤوط موقفه غير المتعاطف أبي عبد الله بأن صاغ نهاية مأساوية له، فقد كان أبو عبد الله في حالة حزن ويأس وجزع، لفقده ملكه ووطنه وهجرته إلى مكان ينتظره فيه الذل والسمل كما أخبر بذلك المنجمون، وبذلك يكون معروف الأرناؤوط قد عاقبه على ما فعل من تهاون في الدفاع عن وطنه.

24 Abdülhak Hamid, *Külliyât-ı Âsâr; Abdullahü's-Sagîr*, s 67.

25 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 49.

26 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 44.

27 معروف الأرناؤوط، أبو عبد الله الصغير: آخر ملوك العرب في الأندلس، ص: 90.

لقد لعبت وجهة نظر كل من الكاتبين وهدفهما من استدعاء هذه الشخصية من التاريخ دورًا هامًا في نقطة الاختلاف الجوهرية التي أوردناها، إن عبد الحق حامد -المدافع عن المسلمين في مسرحياته، والساعي دوما إلى تقديم صورة مشرقة لهم، مقارنًا إياهم بخصومهم المسيحيين الغربيين[28]- أراد الانتقام من فرديناندو المنتصر على المسلمين عسكريًا، فجعل من أبي عبد الله الحاكم المسلم الخاسر في التاريخ بطلًا في الحب والسلام، لقد استطاع الفوز بقلب كارولينا، ورافض دعوة ملكة إسبانيا له للعيش معها في القصر، هازمًا بذلك ملك وملكة إسبانيا بعدم تحقيق رغباتهما. لقد أراد حامد أن يعوض أبا عبد الله الصغير بهذه البطولة في الحب والسلام عن فشله العسكري والسياسي.[29] في هذه الصدد تقول البرفسورة إنجي أنكين أون:

" ... حامد في مسرحيتي نظيفة وعبد الله الصغير، عندما يَهزم في الحب الحاكمَ الإسباني فرديناندو المنتصر في الحرب، يجعل من المهزوم (أبي)عبد الله الصغير أيضًا منتصرًا في عالم الحب".[30]

أما معروف الأرناؤوط فقد أراد من خلال هذه المسرحية التعبير عن واقعه، أي واقع سورية تحت الحكم الفرنسي، كما أراد تحريض الشعب للمطالبة بالحرية والاستقلال، فكلمات الحرية والاستقلال والوطن السليب والثورة تتردد في أنحاء المسرحية. ويرى أحمد زياد محبك أن معروف الأرناؤوط حينما كتب هذه المسرحية كان يكتب في الحقيقة عن سقوط الملك فيصل الأول في سورية، وبين أن ثمة تشابهًا بين شخصية الملك فيصل وشخصية أبي عبد الله الصغير، فكلاهما تقاعس عن الحكم وهرب إلى خارج بلاده.[31]

الخاتمة

لقد تناول كل من عبد الحق حامد ومعروف الأرناؤوط شخصية أبي عبد الله الصغير التاريخية المثيرة للجدل في إطار حكاية من نسج الخيال، من زاويتين مختلفين؛ فعبد الحق حامد أبدى تعاطفًا مع أبي عبد الله الصغير، محاولًا أن يخلصه ما أمكن من التهم التي التصقت به جاعلًا منه محبًا للسلام، ذلك لأنه لم يرد لحاكم مسلم أن يبقى مهزومًا في التاريخ أمام حاكم نصراني، فحامد لا يعلي من شأن أبي عبد الله إلا ليحقق النصر على أعدائه. على العكس من معروف الأرناؤوط الذي جعل من شخصية الصغير معادلًا موضوعيًا لشخصية الملك فيصل الذي فرَّ دون قتال. وهو حين يحمل الصغير المسؤولية -إلى جانب القدر- عن سقوط الأندلس، إنما يحمل الملك فيصل مسؤولية سقوط سورية بيد الفرنسيين، ويلومه على ذلك.

مع ذلك ظهرت عناصر مشتركة كثيرة بين الكاتبين في تناول هذه الشخصية، فقد بدت في المسرحيتين ضعيفة مستسلمة للقدر، غارقة في الملذات والمتع، لا تفارقها صفة الطفولة. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار العلاقة القوية بين الكاتبين يمكننا القول: إن ثمة تأثيرًا لعبد الحق حامد على معروف الأرناؤوط في استلهام هذه الشخصية من التاريخ وصياغتها على الشكل الذي رأيناه.

---

28 إن معظم الشخصيات العربية والإسلامية التي كانت في مواجه مع الغرب في أعماله المسرحية جاءت إيجابية. انظر:
İnci Enginün, "Edebiyatımızda Endülüs", *Araştırmalar ve Belgeler*, İstanbul, Dergâh Yay, 2000, s. 32-41; Abdulsattar Elhajhamed, "Abdülhak Hâmid'in Piyeslerinde Arap İmajı" *Uludağ Üni-.versitesi Fen-Edebiyat Fakültesi Sosyal Bilimler Dergisi,* C. XIX, (2018), S. 34, s. 1-13

29 Sema Uğurcan, *Abdülhak Hâmid Tarhan'ın Eserlerinde Tarih,* s. 136.

30 Abdülhak Hâmid Tarhan, *Abdülhak Hâmid Tarhan Tiyatroları 5, Târık yahut Endülüs Fet-hi, İbn Musa yahut Zatü'l-Cemal, Tezer yahut Melik Abdurrahmanü's-Salis, Nazife, Abdulla-.hü's-Sagir.* haz. İnci Enginün, İstanbul, Dergâh Yayınları, 2002. s. 28

31 أحمد زياد محبك، "التاريخ والتأليف المسرحي في سورية (1945-1967)"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 126، ص: 33.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

الأرناؤوط، عبد اللطيف، "عمر بن الخطاب: رواية تاريخية اجتماعية لمعروف الأرناؤوط"، التراث العربي، عدد 46، 1992.

_____، "من تراث معروف الأرناؤوط: طارق بن زياد ومسرحية "أبو عبد الله الصغير""، التراث العربي، عدد 48، 1992.

الأرناؤوط، معروف، عمر بن الخطاب، دمشق، مطبعة فتى العرب، 1936.

_____، أبو عبد الله الصغير : آخر ملوك العرب في الأندلس، حلب، المطبعة العلمية، 1347/هـ 1929 م.

السعافين، إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1987.

عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 4، 1408هـ-1987م.

محبك، أحمد زياد، "التاريخ والتأليف المسرحي في سورية (1945-1967)"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 126، 1981.

موفاكو، محمد، "عودة إلى معروف الأرناؤوط"، البيان الكويتية، عدد 124، 1976.

هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، القاهرة، دار نهضة مصر، ط 3، بدون تاريخ.

***

el-Arnavut, Abdullatîf, "Ömer b. El-Hattâb: Rivayetün Târihiyye İctimâ'yye li-Ma'rûf el Arnavut", *et-Türasü'l-Arabi,* el-aded 46, 1992.

_____, "Min Türasi Ma'ruf el-Arnavut: Tarık b. Ziyad ve Mesrahiyetuhu 'Ebu Abdullah es-Sagir'", *et-Türasü'l-Arabi*, el-aded 48, 1992.

el-Arnavut, Ma'rûf, *Ömer b. El-Hattâb,* Dımaşk, Matba'atü Feta'l-Arab, 1936.

_____, *Ebû Abdullah es-Sağîr : Ahirü'l-Müluki'l-Arab fi'l-Endülüs,* Haleb, Matba'atü Feta'l-Arab, 1929.

Es- Seafin, İbrâhim, *Tetavvürü'r-Rivayeti'l-Arabiyyeti'l-Hadise fî Biladi'ş-Şam,* Beyrut, Dârü'l-Menahil li'-Tıbaati ve'n-Neşr ve't-Tevzi', et-tab'a 2, 1987.

İnan, Muhammed Abdullah, *Nihayetü'l-Endülüs ve Tarihü'l-Arabi'l-Mütenassirin*, Kahire, Mektebetü'l-Hanci, et-tab'a 4, 1987.

Muhabbik, Ahmed Ziya, "et-Tarih ve't-Te'lîfü'l-Mesrahî fî Suriye (1945-1967)", *Mecelletü'l-Mevkifi'l-Edebî*, Dımaşk, el-aded 126, 1981.

Mufaku, Muhammed, "Avdetün ila Ma'rûf el-Arnavut" *el-Beyân el-Kuveytiyye*, el-aded 124, 1976.

Hilâl, Muhammed Guneymî, *el-Edebü'l-Mukaren*, Kahire, Daru Nahdati Mısır, et-tab'a 3., t.y.

المصادر الأخرى

Elhajhamed, Abdulsattar, "Abdülhak Hâmid'in Piyeslerinde Arap İmajı" *Uludağ Üniversitesi Fen-Edebiyat Fakültesi Sosyal Bilimler Dergisi,* C. XIX, S. 34, 2018.

Enginün, İnci, "Edebiyatımızda Endülüs", *Araştırmalar ve Belgeler*, İstanbul, Dergâh Yayınları, 2000.

Tarhan, Abdülhak Hâmid *Abdülhak Hâmid Tarhan Tiyatroları 5, Târık yahut Endülüs Fethi, İbn Musa yahut Zatü'l-Cemal, Tezer yahut Melik Abdurrahmanü's-Salis, Nazife, Abdullahü's-Sagir.* haz. İnci Enginün. İstanbul, Dergâh Yayınları, 2002.

_____, *Külliyât-ı Âsâr; Abdullahü's-Sagîr, Nazife,* İstanbul, Âsâr-ı Müfide Kütüphanesi, Matbaa-i Âmire, 1335.

Uğurcan, Sema, *Abdülhak Hâmid Tarhan'ın Eserlerinde Tarih,* İzmir, Akademi Kitabevi, 2002.